

التفسير النبوي لألفاظ العبادة

Prophetic interpretation of the words of worship

* د. حافظ حارث سليم

** د. كفايت الله همداني

ABSTRACT:

The Sunnah and Hadith of the Holy Prophet PBUH has been accepted as an important source of Islamic law, next in importance only to the Holy Quran. This status of the Sunnah has remained unchallenged and undisputed throughout the centuries. There have been many differences among Muslims in their juristic opinions, but the authority of the Holy Quran and Sunnah of the Holy Prophet PBUH was never denied by any jurist. The Holy Prophet PBUH being the best teacher employed two different ways to enlighten his companions about Islam and particularly matters of worships. On few occasions, he inquired about their prior knowledge about the topic and then illuminated it, while on other occasion, he simply expounded the spirits and essence of rites and rituals.

Key Words: Sunnah, enlighten, worship, undisputed, illuminated.

يعد الحديث النبوي الشريف من أفصح أساليب العرب وأكثرها اعجازاً ولا ريب فهو كلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأفصح العرب قاطبة وقد تميز كلامه صلى الله عليه وسلم بألفاظ لغته مقصودة يراعى فيها جوانب الدلالة والقصد لدى المتلقي، فهي لغة علمية تجمع بين رقة العبادة ودقة التوجيه ومراعاة الجوانب النفسية والاجتماعية فهي لغة تخاطب فطرة الناس ولا ريب انما تنطلق من قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾¹ أما الألفاظ النبوية المفسرة فهي تلك الألفاظ التي سأل عن معناها الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أو سُئِلَ عنها فضلاً عن الألفاظ التي فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير أسلوب الاستفهام كأن يذكر اللفظ ثم يعقب بتفسير معناه. يمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:

1: النمط الأول: الاستعانة بأسلوب الاستفهام.

2: النمط الثاني: التفسير المباشر.

* Assistant Professor, Faculty of Arabic, Govt: Postgraduate College, Murree.

** Associate Professor, HOD Arabic, National University of Modern Languages, Islamabad.

Email: kafaitullahhamdani@gmail.com

النمط الأول: الاستعانة بأسلوب الاستفهام:

وجاء هذا الأسلوب على وفق ما يأتي:

- 1: سؤال يسأله رسول الله ﷺ وينتظر الإجابة عنه ثم يعقب عليه بتفسير المعنى الذي أراد أن يوصله إليهم من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة...".²
- 2: أو أن يسأل أحد الصحابة سؤالاً بعد أن يورد رسول الله ﷺ لفظاً فيه نوع من الغموض ثم يقوم الرسول ﷺ بتوضيح هذا الغموض من ذلك حديث جابر... قال رسول الله ﷺ "كل مسكر حرام إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار".³
- 3: سؤال يطرحه جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ لتوضيح معنى من المعاني من دون أن يعرف الصحابة أن السائل هو جبريل عليه السلام من ذلك حديث أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ بارزاً للناس فاتاه رجل فقال ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث.⁴ ثم يشير صلى الله عليه وسلم إلى أن السائل هو جبريل عليه السلام "أتاكم يعلمكم أمر دينكم".⁵

النمط الثاني: التفسير المباشر

وهذا النمط يختلف عن النوع السابق بكونه لا يعتمد على الاستفهام وإنما يبراد اللفظ ثم تفسيره وهو على أنواع:

- 1: ذكر لفظ ما ثم الاتيان بتفسير من دون أن يكون هناك سؤال وجواب أو اعتراض من ذلك حديث أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت...".⁶
- 2: الاتيان بالتفسير والشرح ثم ختم ذلك باللفظ الذي أراد رسول الله ﷺ أن يوصل معناه إلى صحابته من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "إن المؤمن إذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾".⁷
- 3: ايراد مفهوم تعارف عليه الناس على سبيل الانكار باستخدام أسلوب النفي ثم التحقيب عليه بـ (لكن) لا يراد المعنى الذي ينبغي أن يتحقق في المسلم الذي يتصف بهذه الصفة أو غيرها، من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن

النبوي ﷺ قال: "ليس المسكين الذي تردده الأكلة والأكلتين ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحي أو لا يسأل الناس الخافاً -

المبحث الأول: الفاظ العبادة المفسرة بأسلوب الاستفهام

الرِّسْلُ والنَّجْدُ:

عن أبي هريرة قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ أُمَّلٌ، لَا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرِسْلِهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَجْدَتُهَا وَرِسْلُهَا؟ قَالَ فِي عُسْرِهَا وَرِسْرِهَا.⁹

المعنى السياقي:

جاء هذا اللفظ في سياق تحذير من الإمتناع عن فعل واجب وهو إخراج الزكاة وفيه إشارة إلى أن المسلم ينبغي له أن يخرج زكاته في وقتها وأن يفعل هذا الأمر بدافع فعل الطاعة لا بدافع آخر. لذلك جاء الحديث عاماً بصيغة أيما رجل فيجب على المسلم أن يخرج زكاته في كل حال سواء في حالة عسر أو حالة يسر، وقد اختلف العلماء في تحديد معنى النجدة والرسل، هل معنى النجدة هي الجذب والشدة بعينها أو سنوات السمن والخصوبة حيث تكثر الإبل الشحوم فيصعب الإخراج؟ وهل المقصود من الرسل الخصوبة أو الهزال؟ ذهب السيوطي إلى أن النجدة هي الجذب والضيقة والرسل هو الخصب والسعة فهو يشير إلى ذلك معللاً تسمية رسول الله ﷺ النجدة عسراً والرسل يسراً بقوله فسمى النجدة عسراً والرسل يسراً لأن الجذب عسرٌ والخصب يسر فهذا الرجل يعطي حقها في حال الجذب والضيقة وهو المراد بالنجدة وفي حال الخصب والسعة وهو المراد بالرسل. ويذهب ابن الأثير إلى هذا الرأي معللاً ذلك بقوله لأن "الرسل اللبن وإنما يكثُر في حال الرخاء والخصب فيكون المعنى أن يخرج حق الله في حال الضيق والسعة والجذب والخصب لأنه إذا أخرج حقها سنة الضيق والجذب كان ذلك شاقاً عليه فإنه إجحاف به وإذا أخرجها في حال الرخاء كان ذلك سهلاً عليه"¹⁰.

فهذا الرأي يرى أن إخراج الزكاة في أيام الجذب أصعب وأشد من أيام الرخاء والخصب في حين يرى قسم آخر من العلماء أن العكس هو الصحيح، فهذا السندي يقول "قيل النجدة الشدة أو السمن والرسل بالكسر الهينة أي يعطي وهي سمان حسان يشتد عليه إخراجها فتلك نجدة يعطي في رسلها وهي مهازيل¹¹. ويعلل أبو عبيد ذلك بأن نجدة أن تكثر شحومها وتحس حتى يمنع ذلك صاحبها أن ينحرفها نفاسة بها فصار ذلك بمنزلة السلاح لها تمتنع به من ربها فتلك نجدة... أما قوله رسلها فهو أن يعطيها وهو أن يهور عليه لأنه رسل ليس فيها من الشحوم والحسن ما يبخل بها فهو يعطيها رسلاً¹². أي مستهيناً بها بسبب هزالتها ويكون عادة في سنوات الجذب وقد ذكر الأزهري أن هناك من ذهب إلى أنه ليس للهزال معنى في الرسل بل المعنى أنه أخرجها بطيب نفس وقد علل ذلك بأنه من بذل حق الله

في المضمون به كان إخراجها مما يهون عليه أسهل فليس لذكر الهزال بعد السمن معنى¹³.

يتضح مما سبق أن المعنى الذي ذكره رسول الله ﷺ هو المعنى الأساسي وهو المعنى الذي ذكره العلماء في تفسير هذين اللفظين بالعسر واليسر وإلى هذا المعنى يشير أبو عبيد بقوله فمعنى الحديث أنه أراد من أعطاهما في هاتين الحالتين النجدة والرسول أي مشقة النفس وعلى طيب منها¹⁴.

الرَّقُوبُ:

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ما تَعُدُّون الرَّقُوبَ فيكم؟ قال: قلنا الذي لا يؤلده، قال: ليس ذلك بالرَّقُوبِ ولكنَّه الرَّجُلُ لم يُقَدِّم من ولده شيئاً¹⁵.

المعنى السياقي:

جاء هذا اللفظ في سياق توجيه سؤال ثم الانتظار ليحيب عنه السامعون ومن ثم الانتقال إيضاح المعنى المراد فيه نوع من التشويق لمعرفة المعنى الذي يريد رسول الله ﷺ إيضاحه لأصحابه بعد اعتراضه على مفهومهم السائد لذلك نجد أن العلماء ذهبوا في تفسير هذا اللفظ إلى معنيين مهمين ركز كل واحد منهم على المعنى الذي وجد فيه غاية ما أراد رسول الله ﷺ إيضاحه لأصحابه.

1: فقد ذهب ابن الأثير إلى أن رسول الله ﷺ لم يرد في الرقوب المعنى اللغوي المعروف لمن لا يعيش له ولد بل نقله رسول الله ﷺ إلى الذي لم يقدم من الولد شيئاً أي يموت قبله¹⁶ وقد علل ابن الأثير التركيز على الذي يقدم ولد قبل أن يموت بقوله "تعريفاً أن الأجر والثواب لمن قدم شيئاً من الولد وإن الاعتداد به أكثر والنفع فيه أعظم وأن فقدهم وإن كان في الدنيا عظيماً فإن فقد الأجر والثواب على الصبر والتسليم للقضاء على الآخرة أعظم، وأن المسلم ولده في الحقيقة من قدمه واحتسبه ومن لم يرزق ذلك فهو الذي لا ولد له¹⁷. وإلى المعنى نفسه ذهب النووي فهو يشير إلى أن تفسير رسول الله ﷺ لهذا اللفظ "بقوله إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده وليس هو كذلك شرعاً بل هو من لم يمت أحد أولاده في حياته فيحتسبه يكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فرطاً وسلفاً¹⁸".

2: وذهب الهروي إلى أن المراد من الرقوب ليس فقد الأولاد في الدنيا وإنما المقصود فقدهم في الآخرة فهو يشير إلى أن نظرة الناس إلى الرقوب مقتصرة على مصائب الدنيا فقط.

فأراد رسول الله ﷺ أن يجعلها على فقدهم في الآخرة وليس هذا بخلاف ذلك في المعنى ولكنه تحويل الموضوع إلى غيره¹⁹. ويرى الهروي أن الرقوب الحقيقي هو من يفقد أولاده يوم القيامة عندما يكون مكافئهم غير الجنة بسبب

المصيبة وغيرها. فهو يرى أن رسول الله ﷺ أراد إيضاح أمر مهم وهو حَضُّ الآباء على تربية أولادهم والمحافظة على ذلك خوفاً من أن يجرموا أولادهم يوم القيامة بسبب اقترافهم لذنوب عظيمة والى ذلك يشير أبو عبيد الهروي ليعزز موقفه بإيراد مثال واضح بالاعتماد على قوله تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾²⁰ منهم قديفعلون أمر الدنيا ويصرون بها ويسمعون إلا أن معناها من التفسير أمر الآخرة²¹.

الإسلام:

عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال ما الإيمان؟... قال ما الإسلام؟ قال الإسلام أن تعبد الله ولا تُشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتؤم رمضان²².

المعنى السياقي:

جاء هذا اللفظ في سياق حديث طويل يسأل فيه جبريل رسول الله ﷺ عن أمور مهمة في العقيدة والعبادة والإحسان لإيضاح أمر جامع لكل ذلك بقوله ﷺ "أنا كرم ليعلمكم دينكم". ذهب العلماء في تفسير هذا اللفظ مذاهب فقسم ذهب إلى أن المراد من تفسير رسول الله ﷺ لهذا اللفظ بالأركان التي ذكرها من الشهادة وإقامة الصلاة وصوم رمضان وغيرها هو من باب بيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام وانقياد الظاهر وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وإنما أضاف لها الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بالخلل قيد انقياده أو اختلاله²³.

وذهب الراغب إلى أن الإسلام في الشرع ضربان أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم حصل مع الاعتقاد أو لم يحصل وإياه قصد بقوله ﴿قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِرُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾²⁴. والثاني فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف باعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضي وقدر كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾²⁵. ويرى الإمام السندي أن الإسلام محصور في هذه الأركان الخمسة²⁶.

وهناك من ذهب إلى أن الإسلام يتطلب ثلاثة أمور وهي توحيد الله تعالى والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله²⁷ بل يذهب إلى أبعد من ذلك إذ يفرق بين الاستسلام الشرعي والاستسلام القدري فيقول "أن يستسلم العبد لربه استسلاماً شريعياً وذلك بتوحيد الله وافراده بالعبادة وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب عليه أما الاستسلام القدري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه²⁸.

يتضح مما سبق أن الإسلام لفظ عام قد يطلق على الإيمان وقد يطلق على الدين الإسلامي بأكمله وهو ما

أشار إليه البغوي بقوله "جعل النبي الإسلام هنا اسماً لما ظهر من الأعمال والإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان ولا لأن التصديق ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملتها شيء واحد وجامعها الدين ولهذا قال ﷺ "أنا كرم جبريل يعلمكم دينكم"²⁹. وإنما التركيز على هذه الأركان الخمسة من الشهادة والصيام والزكاة والحج والصوم إنما هي ثمرات هذا الإسلام ودليل على الاتباع والإخلاص لمن قام بأداء هذه الأركان الخمسة وعدم القيام بها دليل عدم الاتباع ودليل الادعاء غير الصادق.

العَصْرَانِ:

عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال علمي رسول الله ﷺ فكان مما علمي "وحافظ على الصلوات الخمس قال: قلت إن هذه ساعات لي فيها أشغال فمررتي بأمر جامع إذا أنا فعلته اجزأني فقال حافظ على العصرين وما كانت من لغتنا فقلت وما العَصْرَانِ؟ فقال صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها"³⁰.

المعنى السياقي:

جاء هذا اللفظ في سياق حِصٍّ على المحافظة على أمر محجب والتركيز عليه لأهميته وخطورته في وقت واحد ونجد أن العلماء لم يختلفوا في معنى العصرين وإنما تركز كلامهم في سبب هذه التسمية قال الخطابي يريد بالعصرين صلاة العصر وصلاة الصبح والعرب قد تحمل احد الاسمين على الآخر فتجمع بينهما في التسمية طلباً للتخفيف كقولهم العمرين لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) والأوسدين يريدون التمر والماء³¹. فهو يرى أن سبب التسمية يرجع إلى تغليب احد الأسماء على الآخر. ويعلل ابن الأثير التسمية أي التسمية بالعصرين، فهو يقول سماهما العصرين لأنهما يقعان في طرف العصرين وهما الليل والنهار³². ويذهب الخطابي إلى أن معنى العصر أو سبب التسمية يعود إلى معنى المقاربة أو الامتداد فهو يقول "إن صلاة العشي إنما سميت عصرًا لأن مدى وقتها يقارب غروب الشمس في قولهم أعصرت الجارية إذا قاربت الإدراك، ما وكذلك المعنى في تسمية صلاة الفجر عصرًا وذلك إن الوقت الذي يصلي فيه يمتد إلى طلوع الشمس أو يقاربه"³³.

المُقَرَّدُونَ:

عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرَّ على جبل يقال له جُمْدَانُ فقال سيروا هذا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُقَرَّدُونَ قالوا وما الْمُقَرَّدُونَ يا رسول الله؟ قال الذَّاكِرُونَ. الله كثيرًا والذَّاكِرَاتُ"³⁴.

وفي رواية أخرى "قالوا وما الْمُقَرَّدُونَ؟ قال المُسْتَهْزِئُونَ. في زَكَرَ اللهُ يَصْعُقُ الذِّكْرَ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ خِفَافًا"³⁵.

المعنى السياقي:

جاء هذا اللفظ في سياق حَصَّ على أمر مهم متعلق بالإيمان ومتعلق بحب الله وهو ذكر الله تعالى وجاء التركيز فيه من ناحية الاعتزال عن الناس لذكر الله تعالى وبيان السبق في ذلك لمن أدام ذكر الله تعالى.

وقبل الدخول في دلالة هذا التفسير لابد من الإشارة إلى ضبط هذا اللفظ كما ذكره العلماء إذ قالوا إنه جاء بفتح الفاء وكسر الراء المشددة وجاء مخففاً وبإسكان الفاء³⁶. وقد ذهب ابن الأثير إلى أن في هذا التفسير دلالة على الانفراد في العلم والتفقه فيه ومتابعة قضية النصح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو يقول فَرَّد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي³⁷. وذهب قسم من العلماء إلى أن المراد من المفردين هو الولوع والحب الشديد لذكر الله تعالى حتى ينفردوا عن الناس بكثرة ذكرهم لله تعالى يقول الإمام ابن العربي المالكي معلقاً على تفسير رسول الله ﷺ لهذا اللفظ بقوله المستهترون بذكر الله يعني الذين اولعوا به يقال أهتر فلان بكذا أو استهتر فهو مهتر به ومستهتر أي مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره³⁸. وقيل إن المراد من المفردين هو من أهتر الرجل إذا أخرف أي الذين هرموا وخرفوا في ذكر الله وطاعته أي لم يزل ذلك ديدنهم وهمم حتى بلغوا حد الشيخوخة والخرق³⁹.

ففي هذا التفسير دلالة تخصيص لهذا اللفظ بالذاكرين الله تعالى كثيراً دون غيرهم وفيه أيضاً دلالة على أن كثرة ذكر الله لها الأثر الكبير في حياة الإنسان وفي إطالة عمره وفيه أن بيان السبق إلى الجنة مقرون بكثرة ذكر الله تعالى وأن يكون ديدنهم وهمم وشغلهم الشاغل والله اعلم.

المبحث الثاني: الفاظ العبادة المفسرة تفسيراً مباشراً:

البخيل:

عن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ "البخيل الذي ذكرت عندك فلم يُصَلِّ علي" ⁴⁰.

المعنى السياقي:

جاء هذا اللفظ في سياق التعريف المباشر للبخيل الحقيقي الذي يستحق هذا الوصف دون غيره، فهو الذي لا يصل على رسول الله ﷺ عندما يذكر رسول الله ﷺ وقد جاء هذا اللفظ في سياق واضح وبسيط ولكن نجد أن قسماً من العلماء وقف يتأمل في سبب تسمية من لم يصل على رسول الله ﷺ بالبخيل واستعان في إيضاح هذا المفهوم الجديد بمعنى الفاء في الحديث "فلم يصل علي" وذهب الطيبي إلى "أن الفاء في الحديث يحتمل معنيين اثنين الأول "أن الفاء استيعادية والمعنى بعيد عن العاقل أن يتمكن من إجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بها فلم يغتنمها فحقيق أن

يذله الله⁴¹. فقمة البخل تكمن فيه لأن العاقل الذي يدرك عظم أجر الصلاة على الرسول ﷺ لا يمكن أن يبخل بكلمات معدودات ليفوز بمرضاة الله وهي عبادة فمن لم يؤدها كان حقيقاً على الله أن يذله، أما المعنى الثاني فهو أن الفاء "للتعقيب فتفيد به ذم التراخي عن الصلاة عليه عند ذكره ﷺ"⁴². فالبخيل هو الذي يتأخر في الصلاة على رسول الله ﷺ فهو مذموم بسبب التأخر عن الصلاة على رسول الله ﷺ.

العاجز:

عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال "الكيس من ذات نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله"⁴³. وفي رواية أخرى "ثم تمنى على الله"⁴⁴.

المعنى السياقي:

جاء هذا اللفظ في سياق الحديث عن معنيين متضادين وهما (الكيس والعاجز) لتبيان حقيقة واحدة وهي طريق النجاة والوصول إلى رضا الله، فلفظ العاجز معروف عندهم وهو الضعيف المقصر لكن رسول الله ﷺ أراد أن يبين لنا صفات هذا العاجز ويوضح لنا الأمور التي أوصلته إلى هذا الضعف. وقد ذهب ابن العربي في إيضاح هذا اللفظ إلى أن العاجز هو المقصر في الأمور وذلك لأنه أتبع نفسه هواها وجعلها تابعة لهواها فلم يكفها عن الشهوات ولم يمنحها عن مفارقة المحرمات بل إنه مع تفریطه في طاعة الله لا يعتذر بل يظن أن الله يعفو عنه دون أن يلزم جانب التوبة والاستغفار"⁴⁵.

فالعاجز مقصر في كل الجوانب التعبدية والعملية ويرى من شدة جهله أنه يستحق الجنة لذلك نلحظ في الحديث تركيزاً على خطورة اتباع الهوى وإطلاق العنان للنفس البشرية لكل ما تريد إذ لا بد من أن تكون محاطة بسياج الخوف من الله واقفة عند حدود الله وهو ما يشير إليه قوله ﷺ "لا من أتبع نفسه هواها" ثم نجد في الحديث تركيزاً على عدم الاغترار برحمة الله وهو ما يشير إليه قوله ﷺ "وتمنى على الله الأمانى" لذلك يشير السندي إلى هذا بقوله "ثم تمنى على الله الأمانى بأنه كريم غفور رحيم غني عنه وعن عمله فلا يعاقبه بل يدخله الجنة ويعطيه ما يشتهي"⁴⁶. ويشير ابن العربي إلى هذا المعنى إشارة واضحة بقوله "وتمنى على الله أي يذنب ويتمنى الجنة من غير الاستغفار والتوبة"⁴⁷.

وفي الحديث إشارة إلى سفاهة عقل من هذا فعلة وإلى هذا المعنى يشير ابن العربي "والعاجز هو السفه"⁴⁸. وتكمن سفاهة العقل في عدم إدراكه الأمور وانجراره وراء الشهوة متشبهاً بذلك بمن لا عقل له.

الكيس:

عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال "الكيس من ذات نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه

هواها وَتَمَّتْ عَلَى اللَّهِ⁴⁹.

المعنى السياقي:

جاء هذا اللفظ في سياق التعريف المباشر للكيس وربط هذا التعريف بمراقبة النفس وعمل الصالحات قبل الموت والخروج من الدنيا أي كأنه أراد من الكيس الرجل العاقل الحكيم الذي يتصرف تصرفاً يليق به من أجل النجاة من عذاب الله لذلك نجد أن العلماء قد ذهبوا في تحديد صفات من هو العاقل الحقيقي إلى اتجاهين اثنين.

الاتجاه الأول هو ما ذهب إليه الهروي في تحديد هذه الصفات بالتركيز على دلالة لفظ (دان أو الدين) فهو يرى

أنها تحمل معنيين اثنين هما:

المعنى الأول: أن معنى دان نفسه أذلها واستعبدها وقهرها لأن دلالة الدين لله تكون بطاعته والتعبد والخضوع له وحده سبحانه.

المعنى الثاني: هو الحساب فمعنى (دان نفسه) حاسبها لأن دلالة الدين تعني الحساب من ذلك سمي يوم القيامة بيوم الدين أي يوم الحساب والجزاء⁵⁰. أما الاتجاه الثاني فهو ما ذهب إليه ابن العربي في تحديد هذا اللفظ إلى التركيز على مسألة العاقبة في الأمور لذلك فهو يقول الكيس العاقل المتبصر في الأمور الناظر إلى العواقب⁵¹. بل يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يشير إلى معنى مهم وهو العمل للأخرة قبل الموت فهو يقول فالموت عاقبة أمر الدنيا فالكيس من أبصر العاقبة⁵². أي أن الرجل العاقل من يبصر عاقبة أموره لأنه في نهاية المطاف ميت وأن الله سوف يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة قال تعالى ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَنَتَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁵³ يتضح مما سبق أن المفهوم الذي أراد إيصاله رسول الله ﷺ لأصحابه هو أن العاقل الذكي الحقيقي هو الذي يذل نفسه ويجعلها خاضعة لأمر الله ويفكر في عاقبة أموره كلها.

الهوامش والمراجع

¹ النجم/43.

² أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار الجيل بيروت، المطبوعة سنة 1334 هـ، رقم الحديث: 2581

³ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،

دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422 هـ، رقم الحديث: 4343

⁴ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، رقم الحديث: 9

⁵ المصدر نفسه

- ⁶ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي، رقم الحديث: 4260
- ⁷ المطففين/14
- ⁸ صحيح بخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، رقم الحديث: 1479
- ⁹ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، سنن، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، رقم الحديث: 2441
- ¹⁰ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجرزي ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت، ط 1، ج 2 ص 223
- ¹¹ المصدر نفسه ونفس الصفحة
- ¹² غريب الحديث أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 1 ص 205-206
- ¹³ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج 2 ص 223
- ¹⁴ غريب الحديث، ابن سلام الهروي، ج 1 ص 206
- ¹⁵ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، رقم الحديث: 2608
- ¹⁶ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج 2 ص 249
- ¹⁷ المصدر نفسه ونفس الصفحة
- ¹⁸ محيي الدين أبو زكريا يحيى الخزامي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1972م، ج 16 ص 162
- ¹⁹ غريب الحديث، ابن سلام الهروي، ج 3 ص 109
- ²⁰ الأعراف/179
- ²¹ غريب الحديث، ابن سلام الهروي، ج 3 ص 109
- ²² صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، رقم الحديث: 9
- ²³ محمد بن علان الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار الريان الحديث، القاهرة، 1987م، ج 1 ص 217
- ²⁴ الحجرات/14
- ²⁵ البقرة/131
- ²⁶ أبو الحسن محمد بن عبد الهادي المعروف بالسندي، سنن المصطفى، دار الفكر، بيروت، ج 1 ص 33
- ²⁷ أبو عبدالله عامر عبدالله فالح، معجم الفاظ العقيدة، مكتبة العبيكة، الرياض، ط 2، 1420 هـ 2000م، ص 42
- ²⁸ المصدر نفسه ونفس الصفحة
- ²⁹ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ج 1 ص 157
- ³⁰ أبو داود سليمان بن الأشعث، أبو داود، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1409 هـ 1988م، رقم الحديث: 428
- ³¹ أحمد السهارة نفوري، بذل المجهول في حل سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3 ص 233
- ³² النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج 3 ص 246

- ³³ غريب الحديث، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1 ص 187
- ³⁴ صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، رقم الحديث: 2676
- ³⁵ سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مطابع الفجر الحديثة، حمص، ط 10، 1968 م، رقم الحديث: 2676
- ³⁶ صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى الخزامي، ج 17 ص 4
- ³⁷ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج 3 ص 425
- ³⁸ الحافظ ابن العربي المالكي، عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي، دار العلم للجميع، سوريا، ج 13 ص 87
- ³⁹ جار الله محمود بن عمر الزمخشري، محمد أبو الفضل إبراهيم، الفائق في غريب الحديث، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ج 3 ص 99
- ⁴⁰ سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، رقم الحديث: 3546
- ⁴¹ أبو العلي محمد بن عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري، مقدمة تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، مطبعة الفجالة الجديدة مصر القاهرة، ط 2، ج 9 ص 372
- ⁴² المصدر نفسه ونفس الصفحة
- ⁴³ سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، رقم الحديث: 2459
- ⁴⁴ سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، رقم الحديث: 4260
- ⁴⁵ تحفة الأحوزي، المباركفوري، ج 7 ص 132
- ⁴⁶ سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، رقم الحديث: 4260
- ⁴⁷ تحفة الأحوزي، المباركفوري، ج 7 ص 132
- ⁴⁸ المصدر نفسه ونفس الصفحة
- ⁴⁹ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، رقم الحديث: 2459
- ⁵⁰ غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، ج 3 ص 135، 136
- ⁵¹ تحفة الأحوزي، المباركفوري، ج 7 ص 132
- ⁵² المصدر نفسه ونفس الصفحة
- ⁵³ الكهف/49

